مكتبة المحبة
وضع نفسه
راهب من دير السريان

٢/٢١٨
١٢

دروس التربية الكنسية
كتب • صور
ميداليات • هدايا
اسطوانات دينية
ادوات كنسية • براويز
مكتبة المحبة
ت ٩٠٣٨٢٥
٢٠ شارع الفجالة بالقاهرة

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
تليفون ٩٠٥٢٩٦

صاحب القداسة الانبا شنوده الثالث

بابا وبطريرك الاسكندرية والكرازة المرقسية

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
تليفون ٩٠٥٢٩٦

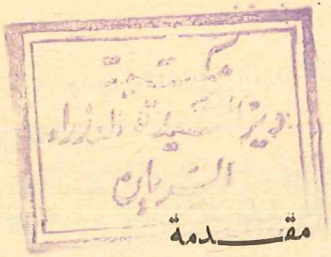

مقـــدمة

قرأت فى كتاب « تأملات فى الميلاد » لغبطة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث ، تأملا رائعاً عن إخلاء الرب لذاته فى العهد الجديد . وأورد غبطته أمثلة كثيرة عن تواضع الرب من الحوادث الواردة فى الأناجيل . أخلى ذاته فى ميلاده ، أخلى ذانه من مظاهر العظمة فى حياته ، أخلى ذاته من كرامة الرئاسة ، أخلى ذاته فى صنع المعجزات ، عاش فقيراً ، عاش مرفوضاً ، عاش مضطهداً ...

ثم قال غبطته « يعوزنا الوقت إن تحدثنا عن كل نواحى إخلاء الرب لذاته ... الأمثلة عديدة لا تحصى ... وإخلاء

الرب لذاته له جذور ممتدة فى العهد القديم ، أتركها حاليا لتأملاتكم الخاصة .

وبتأثير هذه العبارة الأخيرة بدأت أفكر وأتأمل فى بعض الحوادث والمواقف التى وردت فى العهد القديم والتى تظهر لنا تواضع الرب وإخلائه لذاته فى معاملاته مع أولاده من بنى البشر . فكان هذا البحث أو هذا التأمل .

ليتك تقرأ كتاب قداسة أبينا البابا الأنبا شنوده « تأملات فى الميلاد » ثم تقرأ هذا البحث لتكون الفائدة كاملة .

أولا

أمثلة لتواضع الرب وإخلائه لذاته فى العهد القديم

١ – الله يشرك ادم فى تسمية الحيوانات :

قد أظهر الرب تواضعه وأخلاءه لذاته منذ أن خلق آدم الإنسان الأول ، فنقرأ فى الاصحاح الثانى من سفر التكوين « وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء ، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها ، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو أسمها ، فدعا آدم باسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية »(تك٢ : ١٩،٢٠).

ألم يكن ممكناً لله الذى خلق جميع هذه المخلوقات أن يعطيها أسماء ، ولكنه جل أسمه أراد فى تواضعه أن يشرك عبده آدم معه ، فكلفه بما يقدر عليه ، وهو تسمية هذه

المخلوقات حتى يستطيع أن يتعرف عليها بسهولة ويدعوها بأسمائها ، وحتى يشعر بكيانه وسط هذه المخلوقات بأنه هو المخلوق الممتاز الذى وهبه الله العقل والنطق ، وجعله سيداً على جميع مخلوقاته « تسلطه على أعمال يديك ، جعلت كل شيء تحت قدميه ، الغنم والبقر جميعاً وبهائم البر أيضاً وطيور السماء وسمك البحر السالك فى سبل المياه » (مز ٨ : ٦ — ٨) .

٣ — الله يعاقب ادم قبل معاقبته :

+ عندما أخطأ آدم وأهان الله وكسر وصيته ، لم يغضب الله ولم يثر لامتهان كرامته وكسر وصيته ، ويطرد آدم وحواء من الجنة بطريقة قاسية أو مجحفة ، ولكنه تواضع وجاء إليه يعاتبه معاتبة الصديق للصديق لأنه هو الذى قال فيما بعد « إن اخطأ إليك أخوك فأذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما » (مت ١٨ : ١٥) وعندما

اختفى آدم خوفاً وخجلا عندما سمع صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار (تك ٣ : ٨) ناداه الرب وسأله فى تواضع وحب « أين أنت ؟ » كأنه لا يعرف مكانه ، وهو عالم الخفايا والمكنونات .

وكان للرب المحب المتواضع غرض آخر من سؤاله ، هو أن يطمئن آدم ويشجعه ويستدرجه إلى الاعتراف بخطيئته حتى يغفرها له « قلت أعترف للرب بذنبى وأنت رفعت آثام خطيتى » (مز ٣٢:٥) فينجو آدم من القصاص المؤلم للخطية « موتاً تموت » وفى الوصول إلى هذا الهدف السامى أخذ الرب يستدرج آدم وحواء ويتجاذب معهما أطراف الحديث حتى يصطاد من فمهما كلمة اعتراف أو اعتذار.

أين أنت ؟ مَن أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها ؟ وعندما ألقى آدم

المتكبر التبعة على حواء ، وجلب اللوم على الله ذاته الذى خلقها لتعينه « المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت » (تك ٣ : ١٢) . أخذ الرب يستدرج حواء لعلها تعتذر وتقود آدم إلى الاعتذار والتوبة كما قادته إلى العصيان وكسر الوصية ، ولكنها هى الأخرى لم تتواضع ولم تعتذر بل ألقت اللوم على الحية « الحية غرتنى فأكلت » (تك ٣ : ١٣) .

الله فى تواضعه ومحبته يحاول بشتى الطرق — دون إجبار طبعاً — أن يجذبهما إلى التواضع والاعتذار ، وهو مستعد أن يتغاضى عن الخطأ فى حقه وامتهان كرامته ، أما الإنسان المتكبر فلم يشأ أن يتواضع ويعتذر .

ما أعظم تواضع الله وما أردأ كبرياء الإنسان

وماذا بعد؟ هل نرى الله يغضب ويقتص منهما ؟ كلا . بل يشفق عليهما ويرثى لحالهما ويتحنن على عريهما وخجلهما، فيصنع لهما أقمصة

من جلد ويلبسهما (تك ٣ : ١٩) ، وحتى حينما أخرجهما من الجنة تنفيذاً لعدله الالهى أعطاهما الوعد المبارك أن نسل المرأة يسحق رأس الحية ، حتى يعيشا على هذا الرجاء فلا يقعا فى اليأس القاتل .

لو أن آدم وحواء كانا يتعاملان بكل هذه الكبرياء وهذه العجرفة مع إنسان رئيس عليهما ، وليس مع إله متواضع متحنن لكانا قد لقيا كل تعذيب وتنكيل وازدراء « فلتسقط فى يد الرب لأن مراحمه كثيرة ، ولا أسقط فى يد إنسان (٢ صم ٢٤ : ١٤) .

٢ — حنان الله مع قايين المخطىء اليه :

+ عندما أغتاظ قايين من هابيل أخيه ، وفكر عليه بالشر أراد الله المحب للبشر « الذى ليست مسرة أمامه أن يموت الشرير بل يرجع عن طرقه ويحيا » (حز ١٨ : ٢٣) أراد أن يستأصل من قلبه بذرة

الخطية قبل أن تنمو وتكمل وتنتج موتا (يع ١ : ١٥) وتعرضه للعقاب الإلهى العادل . فسأله : لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك ؟ إن أحسنت أفلا رفع (تك ٤ : ٧ ، ٨) ومعنى ذلك أنك إذا تبت وأحسنت صنعاً فأنا مستعد أن أرفع عنك خطيتك وأتقبل قربانك كما قبلت قربان هابيل أخيك ، ثم حذره كأب حنون « وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها » (تك ٤ : ٧) وحتى بعد أن احتقر قايين صوت الله وازدرى بروح النعمة والتحذيرات الإلهية وأكمل خطيته الشنيعة وقتل أخاه وشقيقه هابيل ، لم يقتص منه الله سريعاً كما يفعل البشر بعضهم ببعض ، لكنه فتح له باب الندم والاعتذار لعله يتذكر الوصية « إن احسنت أفلا رفع » فيحسن صنعاً ويعتذر ويتوب

فيرفع عنه الله خطيته ، فسأله : أين هابيل أخوك ؟ ولكن قايين الشرير المتكبر لم ينتفع من تواضع الله وسعة صدره ، فأجاب فى عجرفة « لا أعلم ، أحارس أنا لأخى » (تك ٤ : ٩) وأطال الله أناته عليه فسأله ثانية « ماذا فعلت ، صوت دم أخيك صارخ إلىّ من الأرض (تك ٤ : ١٠) ولكن إذ لم يجد الله فى قايين نية للتواضع والاعتذار والتوبة أوقع عليه القصاص العادل جزاء ما فعلت يداه « أعطهم حسب فعلهم حسب شر أعمالهم ، حسب صنع أيديهم أعطهم ، رد عليهم معاملتهم ، لأنهم لم ينتبهوا إلى أفعال الرب ولا إلى أعمال يديه ، يهدمهم ولا يبنيهم » (مز ٢٨ : ٤ ، ٥) .

٤ – الله يستدرج داود الى التوبة :

+ داود الملك أيضاً عندما أخطأ خطيته المشهورة ، قتل عبده الأمين الشجاع أوريا الحثى واغتصب امرأته ، ورغم هذه الخطايا المميتة التى وقع فيها لم يفكر فى التوبة ، لم ينتظر الله حتى يعود داود إلى رشده ويؤنبه ضميره ويتوب ، ولكنه خاف على عبده داود لئلا يسكت عنه فيموت بخطيته « ياصخرتى لا تتصامم من جهتى لئلا تسكت عنى فأشبه الهابطين فى الجب » (مز ٢٨ : ١) فأرسل إليه ناثان النبى (٢صم ١٢ : ١) وبطريقة لطيفة استدرجه إلى الاعتراف بخطيته « فقال داود لناثان : قد أخطأت إلى الرب . فقال ناثان لداود : الرب أيضاً قد نقل عنك خطيتك. لا تموت » (٢ صم ١٢ : ١٢) والرب ككثرة رحمته عاقب

داود بعقاب خفيف لازم بأن أمات ابن الزنى الذى ولدته بثشبع (٢ صم ١٢ : ١٤) .

٥ – الله يعمل بوابا لنوح :

+ عندما داخل نوح وعائلته وما معه من الحيوانات والطيور ، إلى الفلك ، يقول الكتاب « أغلق الرب عليه » (تك ٧ : ١٦) ياله من تواضع إلهى عظيم أن يتنازل الله ويشتغل بوابا عند نوح . إن غلق الباب وفتحه هو من أعمال الخدم والبوابين ، لكن الله رضى أن يشتغل بوابا عند نوح كما ارتضى فيما بعد أن يشتغل خادماً للتلاميذ ، يغسل أرجلهم وينشفها بيديه الطاهرتين « إن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (مت ٢٠ : ٢٨) .

ويتعاهد معه محتملا كافة الشروط

من شأن المعاهدات والمواثيق التى تعمل بين الناس أن تكون بين طرفين ، على كل من الطرفين حقوق وواجبات ازاء المعاهدة أو الميثاق . أما فى ميثاق قوس قزح الذى أبرم بعد الطوفان فيظهر الله منتهى تواضعه وسماحته ، فهو يبرم الميثاق بينه من جهة وبين الإنسان وكل نفس حية فى كل جسد من جهة أخرى (تك ٩ : ١٥) ولكنه يخلى الإنسان من كل واجب أو التزام تجاه هذا الميثاق ويتحمل هو كافة الواجبات الالتزامات التى تضمن تنفيذ الميثاق ودوام سريان مفعوله « وضعت قوسى فى السحاب فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض . فيكون متى أنشر سحاب على الأرض تظهر القوس فى السحاب أنى أذكر ميثاقى الذى بينى وبينكم وبين كل نفس حية فى كل جسد ، فلا تكون أيضاً المياه طوفانا لتهلك

كل ذى جسد . فمتى كانت القوس فى السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد على الأرض » (تك ٩ : ١٣ — ١٦) .

حنان الله على مَن تطاولوا عليه فى بابل

عندما فكر الناس فى عظمة وأفتخار أن يبنوا لهم مدينة وبرجاً رأسه فى السماء لكى يصنعوا لأنفسهم إسما وذكراً أبدياً (تك ١١ : ٤) باطنهم أن بيوتهم إلى الأبد ، مساكنهم إلى دور فدور ينادون بأسمائهم فى الأراضى (مز ٤٩ : ١١) لم ينتقم الله منهم بشدة بسبب غرورهم بل اكتفى أن ينزل ويبلبل ألسنتهم فيكفوا عن بناء المدينة والبرج . وتقول التقاليد القديمة أن الله من رحمته جعل لكل عائلة بينها ارتباطات حيوية ومصالح مشتركة ، لغة واحدة حتى يستطيع أن يتفاهم أفرادها بعضهم مع بعض لتدبير أمورهم الخاصة والهامة لقوام حياتهم .

٩ – ظهور الله كشبه ملاك :

كان الرب فى ظهوراته المتكررة فى العهد القديم يظهر شبه ملاك (وكل الظهورات طبعاً من نصيب الابن ، الاقنوم الثانى من الثالوث القدوس) وهذا بالطبع نوع من الإتضاع ، فالملاك واحد من مخلوقاته ، حتى لانستعرب إذا « جاء ملء الزمان وأرسل الله ابنه مولوداً من امرأة » (غل ٤ : ٤) وظهر فى الجسد الإنسانى الذى هو أقل مرتبة من الجسد الروحانى الذى للملاك . فكان ظهوره فى شكل الملائكة تمهيداً واعداداً لظهوره فى شكل الإنسان الذى اظهر به منتهى التواضع واخلاء الذات . فلم يظهر الله بقوة وجبروت كما ظهر مرة لبنى إسرائيل فى البرية « وحدث فى اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة ، وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار. وصعد دخانه كدخان

الأتون وارتجف كل الجبل جداً . فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت » (خر ١٩ : ١٦ ، ١٨ ، ١٩) .

وكان المنظر هكذا مخيفاً حتى قال موسى أنا مرتعب ومرتعد (عب ١٢ : ٢١) .

ولم يظهر الرب كما سيستعلن فى مجيئه الثانى المرهوب « من السماء مع ملائكة قوته فى لهيب نار معطيا نقمة للذين لا يعرفون الله (٢ تس ١ : ٧ ، ٨) ولكنه كان يظهر فى شكل ملاك وديع هادىء .

ومن ظهوراته فى العهد القديم على شكل ملاك ما يلى ، نورده على سبيل المثال لا الحصر :

١ – ظهر لهاجر عند هروبها من سيدتها سارة وأمرها أن ترجع إلى مولاتها ، وتخضع لها ، ثم قال لها « تكثيراً

أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة » (تك ١٦ : ١٠) ونستنتج من هذه الآية أن المتكلم هو الله بذاته إذ تراه يتكلم بلسان إلهى وليس كالملائكة الذين هم مجرد رسل وخدام لتبليغ الرسائل الإلهية وخدمة العقيدين أن يرثوا الخلاص . فلو كان الذى يكلمها مجرد ملاك لقال لها مثلا « إن الرب يأمرك أن ترجعى إلى سيدتك سارة وتخضعى لها وهو يعدك أن يكثر نسلك فلا يعد من الكثرة » كما حدث فى مناسبة لاحقة عندما وقف جبرائيل رئيس الملائكة يبشر زكريا الكاهن بميلاد يوحنا المعمدان « قال له أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت (من قبل الله) لأكلمك وابشرك بهذا » (لو ١ : ١٩) .

٢ — ظهر الرب لابراهيم شبه ملاك على جبل المريا عندما مد يده وأخذ السكين ليذبح إسحق ابنه « فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم . إبراهيم . فقال هأنذا : فقال لا تمد

يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً لأنى الآن علمت انك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى » (تك ٢٢ : ١١ ، ١٢) .

والذى يؤكد أن المتكلم مع إبراهيم هو الله نفسه قوله : فلم تمسك ابنك وحيدك عنى .

٣ — يقول الكتاب إن موسى « ساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة ، فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار ولم تحترق . فقال موسى « أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة » (خر ٣ : ١ — ٤) « ثم قال أنا إله ابيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله » (خر ٣ : ٦) ويظهر من هذه النصوص المقدسة أن المتكلم هو الله نفسه المتشبه بالملاك وليس ملاك عادى مرسل

من الله . ويحلو للكنيسة المقدسة أن تشبه السيدة العذراء مريم التى حملت فى بطنها جمر اللاهوت تسعة شهور ولم تحترق بالعليقة التى رآها موسى مشتعلة بالنار ولم تحترق أغصانها وتقول الكنيسة فى تذاكية يوم الخميس القطعة الأولى أرباع ١ ، ٢ ، ٣ (العليقة التى رآها موسى فى البرية والنار مشتعلة فيها ولم تحترق أغصانها) هى مثال مريم غير الدنسة التى كلمة الأب اتى وتجسد منها ونار لاهوته لم تحرق بطن العذراء ، وأيضاً بعدما ولدته بقيت عذراء) . ونلاحظ أن موسى أدرك فى ساعتها أن المتكلم معه هو الله « فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله » (خر ٣٠ : ٦) .

٤ — يقول الكتاب المقدس « وصعد ملاك الرب من الجلجال إلى بوكيم وقال قد **اصعدتكم من مصر وأتيت** بكم إلى

الأرض التى **اقسمت** لآبائكم وقلت لا انكث عهدى معكم إلى الأبد. وأنتم فلا تقطعوا عهداً مع سكان هذه الأرض (قضاة ٢ : ١ ، ٢) ومن سياق الحديث نفهم أن المتكلم هو الله نفسه وليس ملاك .

٥ — يقول الكتاب المقدس « وأتى ملاك الرب وجلس تحت البطمة التى فى عفرة التى ليوآش الأبيعزرى وابنه جدعون كان يخبط حنطة فى المعصرة لكى يهربها من المديانيين. فظهر له ملاك الرب وقال له : الرب معك يا جبار البأس ... فالتفت إليه **الرب** وقال: اذهب بقوتك هذه وخلص إسرائيل من كف مديان .. **اما ارسلتك** » (قضاه ٦ : ١١ — ١٤) ولما اعتذر جدعون عن المهمة قائلا « يا سيدى بماذا اخلص إسرائيل ، ها عشيرتى هى التى من منسى وأنا الأصغر فى بيت أبى» (قض ٦ : ١٥) فقال له **الرب** أنى أكون معك وستضرب المديانيين

كرجل واحد (قضاه ٦ : ١٦) وعندما اراد الرب أن يفارقه « فقال له الرب السلام لك .. لا تخف .. لا تمـــوت » (قض ٦ : ٢٣) .

ومن كل ما تقدم نفهم أن الذى ظهر لجدعون هو الرب نفسه وليس ملاك عادى .

٦ — ظهر الرب فى هيئة ملاك الرب أو « رجل الله » لمنوح وامرأته ووعدهما بانجاب ابن نذير من بطن أمه ليخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين وعندما سأله منوح « ما أسمك حتى إذا جاء كلامك نكرمك .. فقال له ملاك الرب : لماذا تسأل عن أسمى وهو عجيب » (قض ١٣ : ١٧ ، ١٨) ولما قال له منوح « دعنا نعوقك ونعمل لك جدى معزى » (قض ١٣ : ١٥) أطاع وأنتظر « فأخذ منوح جدى المعزى والتقدمة وأصعدها على الصخرة للرب فعمل عملا عجيباً ، ومنوح وامرأته ينظران

فكان عند الصعود اللهيب عن المذبح أن ملاك الرب صعد فى لهيب المذبح ومنوح وامرأته ينظران (قض ١٣ : ١٩ ، ٢٠) « فقال منوح لامرأته نموت موتا لأننا قد رأينـــا الله » (قض ١٣ : ٢٢) .

لم يقل منوح هنا إننا رأينا ملاك الله ولكنه قال « قد رأينا الله فالذى ظهر لهما هو الله المتواضع الذى يظهر للناس فى شكل أحد عبيده ومخلوقاته الملائكة أو « رجال الله » على حد تعبير الكتاب المقدس فى قصة ظهور الله لمنوح وامرأته .

وهو بذلك يشبه الملوك المتواضعين الرحماء الذين يخلعون عنهم تاج الملك ولباس العظمة والجلالة الملوكية ويلبسون ملابس بسيطة « تنكرية » وينزلون بأنفسهم إلى الشوارع والأزقة يمشون بين الناس ، يطلعون على أحوالهم ، يسمعون شكواهم ، يعرفون متاعبهم ، ويعملون على راحتهم وسلامتهم .

٧ – ظهورات الله على شكل بشرى :

لم يكتف الله بهذا القدر من التواضع وإخلاء الذات بأن يظهر فى شكل ملاك بل تعداه وظهر أحياناً فى شكل أناس عاديين جداً . وظهوره فى شكل إنسان هو تمهيد لظهوره إنساناً كاملا متجسداً من العذراء مريم فى ملء الزمان . ومن الحوادث التى ظهر فيها الرب شبه إنسان فى العهد القديم ما يلى:

١ – « وظهر الرب (لابراهيم) عند بلوطات ممرا وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض . وقال ياسيد إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل من ماء وأغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون . لانكم قد مررتم على عبدكم . فقالوا هكذا نفعل كما

تكلمت » (تك ١٨ : ١ – ٥) . وفعلا ، على حد تعبير الكتاب المقدس « وإذ كان هو (إبراهيم) واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا (تك ١٨ : ٨) وبعد أن أكلوا بدأ الرب يظهر لاهوته لابراهيم ويتمم له وعده الذى طالما أنتظره إبراهيم « فقال إنى أرجع نحو زمان الحياة ويكون لسارة أمرأتك ابن » (تك ١٨ : ١٠) وبعد أن قاموا من هناك وكان إبراهيم ماشيا معهم ليشيعهم تطلعوا نحو سدوم « فقال الرب : هل أخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله » (تك ١٨ : ١٧) وبدأت محاورة لطيفة بين الله وخليله إبراهيم بخصوص سدوم وعموره ، إذا قرأناها (تك ١٨ : ١٧ – ٣٣) نستنتج أن إبراهيم إدرك أنه « قائم أمام الرب » (تك ١٨ : ٢٢) ديان كل الأرض (تك ١٨ : ٢٥) وأخذ يتشفع من أجل سدوم وعموره بشجاعة عظيمة ودالة قوية .

٢ – عند رجوع يعقوب من عند خاله لابان كان خائفاً

ومرتعداً من أخيه عيسو لئلا يبطش به ويهلكه وبينما هو وحده عند مخاضة يبوق صارعه **انسان** حتى طلوع الفجر ، وعند طلوع الفجر باركه وغير أسمه من يعقوب إلى إسرائيل قائلا « لأنك قد جاهدت مع **الله** والناس وقدرت » (تك ٣٢ : ٢٨) ولم يكن هذا **الانسان** الذى صارع يعقوب سوى الله ذاته أظهر نفسه فى هذا الشكل المألوف ليعقوب ليشجعه ويباركه وينزع خوفه .

وفى هذه الحادثة نلمس تواضعاً جديداً لله، إذ نرى الكتاب يقول عن وصف الصراع بين الله وبين يعقوب « ولما رأى (الله) أنه لا يقدر عليه » (أى لا يقدر على يعقوب) ضرب حق فخذه (تك ٣٢ : ٥) يالله العجب من تواضع الله واخلائه لذاته إذ يصفه الكتاب أنه غلب أمام يعقوب الخائف المرتجف الأوصال من مجرد ملاقاة أخيه عيسو .

٨ – الله يستشير قديسيه فى تدابيره :

+ جانب آخر من جوانب تواضع الله هو أن يشرك بعض عبيده ومحبيه فى بعض تدابيره الإلهية ويستشيرهم ويأخذ رأيهم فى بعض مقترحاته . والأعجب من ذلك أنه يأخذ بمشورتهم ولا يخيب شفاعتهم ، فنراه يستشير إبراهيم خليله عندما أراد أن يحرق سدوم وعموره ، وظل إبراهيم يتشفع والله يقبل الشفاعة حتى سكت إبراهيم من ذاته بعد أن رأى أن سدوم وعموره لا تستحقان شفاعة ما دام لا يوجد فيهما ولو عشرة أبرار فقط (تك ١٨ : ٣٢) نفس الشىء صنعه مع موسى كليمه عندما إراد فى حمو غضبه أن يبيدنى إسرائيل للمتمردين لما صنعوا لهم عجلا مسبوكاً وسجدوا أمامه وذبحوا له فى البرية وعبدوه « قال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذ

هو شعب صلب الرقبة فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم فأصيرك شعباً عظيماً» (خر ٣٢: ٩، ١٠) فتضرع موسى إلى الله بدالة، متشفعاً من أجل الشعب» «ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك. اذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد» (خر ٣٢: ١١ — ١٣). وسمع الرب واستجاب لطلبة وشفاعة عبده موسى «فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه» (خر ٣٢. ١٤).

٩ — احتمال الله الفائق لجهالات البشر:

+ الله المتواضع هو أيضاً محتمل إذ أن الاحتمال هو بكر

أولاد التواضع .. ومن أعظم امثلة احتمال الله وطول أناته:

١ — احتماله لايوب:

سمح الرب للشيطان أن يجرب أيوب، وكانت هذه التجربة من أجل تنقيته وتنظيفه من خطية البر الذاتى التى كانت ولا محالة ستهلكه هلاكاً أبدياً، ولكننا نرى أيوب فى بادىء الأمر لا يفطن لقصد الله، فيبدأ فى مهاجمته ويحتج بقوة ويعاتبه بشدة (أيوب ص ٣، ٦، ٧، ١٠، ١٦، ١٩، ٣٠) حتى ضاق صدر اصحابه منه وأخذوا يوبخونه بشدة، وقال أحدهم «إن أيوب يتكلم بلا معرفة وكلامه ليس بتعقل، فليت أيوب كان يُمتحن إلى الغاية من أجل أجوبته كأهل الإثم. لكنه أضاف إلى خطيته معصية، يصفق بيننا ويكثر كلامه على الله» (أيوب ٣٤: ٣٥ — ٣٧) أخيراً «كف اصحابه عن

مجاوبته لكونه باراً فى عينى نفسه » (أى ٣٢ : ١) . وبعد كل هذا الكلام الكثير الذى فاه به أيوب على الله نرى الله المتواضع المحتمل يتغاضى ويتحمل ، بل وأكثر من ذلك يوبخ أصحاب ايوب قائلا لأليفاز التيمانى « قد احتمى غضبى عليك وعلى كلا صاحبيك لأنكم لم تقولوا فىّ الصواب كعبدى أيوب» (أى ٤٢ : ٧) « ثم أمرهم أن يقدموا عن أنفسهم ذبيحة محرقة ويطلبوا من أيوب أن يصلى عنهم ». وزاد على ذلك أن « الرب رفع وجه أيوب ورد الرب سبى إيوب لما صلى لأجل أصحابه وزاد الرب على كل ما كان لإيوب ضعفاً (أى ٤٢ : ٩، ١٠) وبارك الرب آخرة أيوب أكثر من أولاه (أى ٤٢ : ١٢) .

٢ — احتماله لبنى اسرائيل :

احتمل الرب مضايقات بنى إسرائيل وثوراتهم وتمرداتهم المستمرة عليه وعلى عبده موسى لمدة ٤٠ سنة فى البرية ، حتى

كان يشكو بعد ذلك على لسان المرتل » فى البرية حيث جربنى آباؤكم . اختبرونى . أبصروا أيضا فعلى أربعين سنة » (مز ٩٥ : ٨، ٩) وقال الرسول « ونحو مدة أربعين سنة أحتمل عوائدهم فى البرية » (أع ١٣ : ١٨) وليس فى البرية فقط بل وحتى بعد أن اسكنهم أرض الميعاد وأراحهم فى الأرض التى تفيض لبنا وعسلا ، كثيراً ما جحدوا احساناته وتركوه وذهبوا وراء آلهة غريبة ، حتى كان يشكو ويقول : لكن استخدمتنى بخطاياك واتعبتنى بآثامك (اش ٤٣ : ٢٤) لكنه فى تواضعه يحتمل ويصفح « أنا الماحى ذنوبك لأجل نفسى وخطاياك لا أذكرها (أش ٤٣ : ٢٥) وكان يعاتب فى رقة وحنان « ماذا وجد فىّ آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عنى وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا . ولم يقولوا أين هو الرب الذى أصعدنا من أرض مصر وسار بنا فى البرية فى أرض قفر وحفر فى أرض يبوسة وظل الموت » (إر ٢ : ٥ — ٨) وبعد أن يعمل مقارنة بين شعبه الذى تركه وزنى وراء آلهة غريبة ،

وبين المرأة التى تترك زوجها وتصير لرجل آخر يتعطف ويقول « لكن ارجعى إلىّ يقول الرب » (إر ٣ : ١) ارجعى أيتها العاصية اسرائيل يقول الرب . لا أوقع غضبى بكم لأنى رؤوف يقول الرب لا أحقد إلى الأبد أعرفى فقط إثمك أنك إلى الرب إلهك أذنبت » (إر ٣ : ١٢ ، ١٣) .

لذلك . . .

+ عندما أخطأ داود النبى والملك وأحصى الشعب ليشبع رغبته أنه أصبح ملكا على شعب عظيم أرسل الله إليه جاد النبى ليؤدبه على غلطته ، ليقول له « ثلاثة أنا عارض عليك فأختر لنفسك واحداً منها فأفعله بك . فأتى جاد إلى داود واخبره وقال له : أتأتى عليك سبع سنى جوع فى أرضك ، أم تهرب ثلاثة اشهر أمام اعدائك وهم يتبعونك ، أم يكون لك ثلاثة

أيام وبأ فى أرضك . . . فقال داود لجاد : قد ضاق بى الأمر جداً ، فلنسقط فى يد الرب لأن مراحمه كثيرة ولا أسقط فى يد إنسان » (٢ صم ٢٤ : ١٢ - ١٤) .

وهكذا اختار داود الوقوع فى يد الرب الرحوم المتواضع الذى لا يغضب إلى الأبد ولا يحقد إلى الدهر ولا ينتقم بقسوة وتجبر ، ذلك أهون من وقوعه فى يد أعدائه القساة من بنى البشر المتصلفين المتعطشين لسفك الدماء والانتقام بغير رحمة .

٣ — موقف آخر من مواقف تواضع الله ولطفه ، إرميا النبى يكلم الله بتجاسر ويقول « أبرّ أنت يارب من أن اخاصمك ، لكن أكلمك من جهة أحكامك ، لماذا تُنجح طريق الأشرار . . . اطمأن كل الغادرين غدراً . . » (إر ١٢ : ١) .

إرميا الذى عندما دعاه الرب نبياً له ليعرّف بنى جلدته طريق الله أبى واعتذر قائلا : « آه ياسيد الرب انى لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد » (إر ١ : ٦) إرميا الذى يخشى أن يكلم الناس بما فيه خلاص نفوسهم خوفاً من اضطهادهم وغضبهم نراه يكلم الله بتجاسر عظيم فى أمور من أخص اختصاصات الله وهى أحكامه وطريقة إدارته للعالم ، تلك الإدارة المتعالية عن الأفهام « ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء لأن مَن عرف فكر الرب أو مَن صار له مشيراً » (رو ١١ : ٣٣ ، ٣٤) .

لو كان الله دكتاتوراً لكان قد وبخ إرميا على هذه الجسارة قائلا : من أنت يا إرميا حتى تحاسبنى وتكلمنى من جهة أحكامى ، أنت التراب والرماد تشرع فتكلم المولى بهذا الأسلوب ؟ لكن الله المتواضع المحب لأولاده لم يؤنب إرميا

ولم يعنفه بل جاوبه بلطف ، بل ووجدها فرصة مناسبة ليحذره من أولئك الأشرار الغادرين (إر ١٢ : ١) قائلا « ... لا تأتمنهم إذا كلموك بالخير » (إر ١٢ : ٦) .

١٠ – الرب يخلى ذاته ويرفع شأن أولاده :

+ الله العجيب فى تواضعه بقدر ما يخلى ذاته يعمل على رفع شأن أولاده وأصفيائه فى نظر الآخرين . وها هى بعض الحوادث من العهد القديم تثبت لنا ذلك .

١ – ابراهيم :

تغرّب إبراهيم فى «جرار» التى كان يملك عليها «ابيمالك» فأرسل أبيمالك وأخذ سارة من إبراهيم « فجاء الله إلى أبيمالك فى حلم الليل وقال له : ها أنت ميت من أجل المرأة التى أخذتها فإنها متزوجة ببعل » (تك ٢٠ : ٣) ثم أمره : الآن رد امرأة الرجل فإنه نبى فيصلى لأجلك فتحيا (تك ٢٠ : ٧) وهكذا

رفع الرب شأن خليله إبراهيم المسكين الحزين بسبب اغتصاب امرأته والخائف من سلطان أبيمالك والضعيف عن مقاومته .

« فبكر إبيمالك فى الغد ودعا جميع عبيده وتكلم بكل هذا الكلام فى مسامعهم **فخاف الرجال جدا** » (تك ٢٠ : ٨) فأخذ ابيمالك غنماً وبقراً وعبيداً وإماء وأعطاها لابراهيم وردّ إليه سارة امرأته ، وقال أبيمالك هوذا أرضى قدامك اسكن فيما حسن فى عينيك » (تك ٢٠ : ١٤ ، ١٥) فصلى إبراهيم إلى الله فشفى الله أبيمالك وامرأته وجواريه فولدن لأن الله كان قد أغلق كل رحم لبيت أبيمالك بسبب سارة امرأة إبراهيم (تك ٢٠ : ١٧ ، ١٨) .

موسى :

« وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية فقالا هل

كلم الرب موسى وحده . ألم يكلمنا نحن أيضاً . . فسمع الرب (عدد ١٢ : ١ ، ٢) . « فحمى غضب الرب عليهما » (عدد ١٢ : ٩) وبكتهما وحذرهما من الكلام على عبده موسى (عدد ١٢ : ٦ — ٨) وعاقب مريم بالبرص (عدد ١٢ : ١٠) . فأعتذر هارون لموسى عما تكلم به فى حقه هو واخته مريم « فقال هارون لموسى اسألك يا سيدى لا تجعل علينا الخطية التى حمقنا وأخطأنا بها » (عدد ١٢ : ١١) ولم يشف الرب مريم إلا حينما « صرخ موسى إلى الرب قائلا اللهم أشفها » (عدد ١٢ : ١٣) . وهكذا رفع الرب قدر عبده موسى فى نظر أخويه هارون ومريم ، وبالتالى فى نظر جميع الشعب .

فى الحقيقة قد رفع الرب شأن عبده الأمين موسى وعظم قدره جداً ، فقد جعله « إلهاً لفرعون » ، باشارة منه تنزل

الضربات ، وبصلاة منه ترفع الضربات . والله خلف الستار يعمل فى قوة ، وفى انكسار ذات .

وهناك حادثة أخرى يعلق عليها غبطة البابا الأنبا شنوده فى كتابه (تأملات فى الميلاد) ص ٢٧ بقوله : هناك عبارة عجيبة فى العهد القديم وقفت أمامها منذهلا لحظات طويلة ... فى قصة الله مع موسى النبى . . عندما ثقلت المسئولية على موسى النبى قال له الرب « أجمع إلىّ سبعين رجلا... فأنزل واتكلم معك هناك وآخذ من الروح الذى عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب » (عدد ١١ : ١٦ ، ١٧) .

تصوروا ! الله يأخذ من الروح الذى على موسى ويضع عليهم ، وما هو الروح الذى على موسى ؟ ! أليس من عندك يارب؟ كيف تأخذ منه وكيف تأخذ منه أمام كل هؤلاء الناس؟! إعطهم أنت يارب من عندك مباشرة كما أعطيت لموسى. أنت يامصدر

كل عطية صالحة — أنت مصدر الحكمة والتدبير والفهم ... إننى آخذ من الروح الذى على موسى وأضع عليهم وأرفع شأن موسى فى أعينهم ..

مبارك أنت يارب فى كل تدبيرك الصالح ، الله يحب أولاده ويريد إن يكرمهم فى السر والجهر .

٢ — ايوب :

+ تواضع الرب أمام أيوب ، واحتمل كل أقاويله وادعائه .. ولما كان أصحاب أيوب قد إنتهروه ومرروا نفسه بردودهم الشديدة اللهجة لم يحتمل الرب ذلك واراد أن يرفع قدر عبده أيوب فى أعين أصحابه ويرد إليه شرفه واحترامه « فقال الرب لأليفاز التيمانى قد احتمى غضبى عليك وعلى كلا صاحبيك لأنكم لم تقولوا فىّ الصواب كعبدى أيوب . والآن فخذوا لأنفسكم سبعة ثيران وسبعة كباش وأذهبوا إلى

عبدى أيوب وأصعدوا محرقه لأجل أنفسكم، وعبدى أيوب يصلى من أجلكم لأنى أرفع وجهه » (أى ٤٢ . ٧ ، ٨) .

٤ – صموئيل :

+ أراد الرب أن يرفع شأن عبده صموئيل النبى فى عيون اسرائيل عندما رفضوه كنبى وقاض وحاكم من قبل الله لتصريف شئون أمتهم ، وطلبوا لأنفسهم ملكاً حسب استحسانهم ، يدخل ويخرج أمامهم ويحارب حروبهم كسائر الأمم التى حولهم فأستجاب الرب طلبة عبده صموئيل فى الحال ... قال صموئيل لبنى اسرائيل « أما هو حصاد الحنطة اليوم » (أى زمن الصيف حيث لا تنزل الأمطار فى أرض فلسطين) فإنى أدعو الرب فيعطى رعوداً ومطراً فتعلمون وترون

أنه عظيم شركم الذى عملتموه فى عينى الرب بطلبكم لأنفسكم ملكا . . فدعا صموئيل الرب فأعطى رعوداً ومطراً فى ذلك اليوم » (١ صم ١٢ : ١٧ ، ١٨) وهنا ارتفع صموئيل فى عيون الشعب كنبى ورجل صلاة ، له دالة قوية لدى الله .. وطلبوا منه بتضرع أن يطلب إلى الرب من أجلهم لئلا يموتوا « وخاف جميع الشعب الرب وصموئيل جداً . . وقال جميع الشعب لصموئيل صلّ عن عبيدك إلى الرب إلهك حتى لا نموت » (١ صم ١٢ : ١٨ ، ١٩) .

٥ – ايليا :

+ عندما مات ابن أرملة صرفة صيدا التى كان إيليا النبى نازلا عندها أشتد حزن المرأة وانتهرت رجل الله وعنفته واتهمته بأنه هو السبب فى موت ابنها « ما لى

ولك يارجل الله هل جئت إلىّ لتذكير إثمى وإماتة ابنى ؟» (١ ملوك ١٧ : ١٨) ، أما رجل الله المتواضع مثل إلهه ، فلم يغلظ لها القول ولم يرد عليها بأسلوبها الجاف بل صرخ إلى الرب من أجل الصبى « فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال يارب إلهى لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه .. فسمع الرب لصوت ايليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش (١ ملوك ١٧ : ٢١ ، ٢٢) .. فلما دفعه إلى أمه حياً فرحت المرأة وغيرت فكرتها عن رجل الله واحترمته وأكرمته «فقالت المرأة لايليا هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الله فى فمك حق» (١ ملوك ١٧ : ٢٤) .

وهكذا رد الرب شرف نبيه ورفع قدره فى نظر تلك المرأة الأممية .

٦ – اليشع :

حصل نفس الشىء مع أليشع النبى تلميذ ايليا . . مات ابن المرأة الشونمية التى كان النبى ينزل عندها ، والذى كان قد طلبه لها من الله « فانطلقت حتى جاءت إلى رجل الله إلى جبل الكرمل » (٢ ملوك ٤ : ٢٥) وهناك عاتبت رجل الله ولامته بشدة : فقالت هل طلبت ابناً من سيدى . ألم أقل لا تخدعنى (٢ ملوك ٤ : ٢٨) فقام معها النبى وجاء إلى حيث الصبى ميت ومضطجع فصلى إلى الرب ، فعطس الصبى سبع مرات ثم فتح الصبى عينيه (٢ ملوك ٤ : ٣٥) ثم دعا أمه وسلمه إليها ، وهناك عظم قدر النبى جداً فى نظر المرأة فأتت وسقطت عند رجليه وسجدت إلى الأرض ثم حملت ابنها وخرجت (٢ ملوك ٤ : ٣٧) وهكذا يتواضع الرب ويعمل فى انكار ذاته من وراء الستار ليرفع شأن أولاده ومختاريه فى نظر الآخرين .

* * *

بعد أن عرفنا شيئاً عن معاملات الله مع ابنائه فى العهد القديم ، قبل تجسد ابن الله وظهوره فى الجسد ، فكم تكون النعمة والشرف الذى نالته البشرية بمجىء السيد المسيح فى الجسد لأخذ الذى لنا ويعطينا الذى له [1] .

إن الله مستعد إن يتقابل معك ليتعامل معك ، ويصنع معك عهداً جديداً عن طريق التناول من جسده ودمه الأقدسين ، وعن طريق كلمته المدوّنه فى الكتاب المقدس .

فهل تقبل الدخول فى عهده حتى يمكنك التعامل معه ؟ . .

هيا فهو فى انتظارك . . إنه يعرفك وهو دائماً يدعوك فلا تتأخر قبل فوات الفرصة .

هذا هو الطريق الروحى . . اتضاع الله إلى مستوى التعامل معنا فى كل ظروف حياتنا .

---

(١) « معاملات الله فى العهد الجديد واتضاعه » هو موضوع نبذة مقبلة إن أذن الرب .

البريان

ثانيا

بعض أمثلة لتواضع الرب واخلائه لذاته فى العهد الجديد

عرفنا فى التأمل السابق بعض أمثله لتواضع الرب وأخلائه لذاته من خلال معاملاته مع البشر فى العهد القديم ، وبناء على نصيحة أحد الآباء استرسلت فى موضوع تواضع الرب واخلائه لذاته فى العهد الجديد حيث صنع الرب كل هذا التنازل العظيم . نزل إلينا على الأرض ، ودعا اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا .. صار إنساناً مثلنا ما خلا الخطية وحدها . عاش بين الناس ، أكل وشرب ونام وحزن وبكى وجاع « أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له » وها هى بعض التأملات فى بعض النقاط البسيطة من المحيط

العظيم الذى لتواضـــع الرب ، واخلائه لذاته أيام تجسده على الأرض ، لأنه ترك لنا مثالا لكى نتبع اثر خطواته ولأنه طلب منا بفمه الإلهى « تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم » (مت ١١ : ٢٩) .

من مظاهر تواضع الرب :

+ هروبه من هيرودس :

لما علم هيرودس الملك أن (ملك اليهود) قد ولد فى بيت لحم ، دبر حيلة لقتله فى مهده والتخلص منه « حينئذ دعا هيرودس المجوس سراً وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبى ومتى وجدتموه فاخبرونى لكى آتى أنا أيضاً واسجد له » (مت ٢ : ٧ ، ٨) ولما فشلت حيلته وبدد الله مشورته استشاط غيظاً فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وكل تخومها من

ابن سنتين فما دون (مت ٢ : ١٦) حتى يضمن قتل الطفل الملكى الذى ظن أنه سينافسه العرش ، ولكن يسوع الوديع المتواضع آثر أن يهرب من الشر ، ويتحمل هو وأمه ويوسف النجار .. الشيخ العجوز ، متاعب السفر كل هذه المسافات الشاسعة من فلسطين إلى صعيد مصر حتى يعلمنا الهروب من الشر . كان يمكنه أن يميت هيرودس أو يقضى عليه بأية طريقة ، لكنه رفض منفذاً ما جاء بعد ذلك فى عظته على الجبل « لا تقاوموا الشر » (مت ٥ : ٣٩) .

وقد تكرر هروب السيد بعد ذلك من أمام وجه الشر عدة مرات ، ففى أحدى المرات ألقى كلمة فى مجمع الناصرة فامتلأ غضباً جميع الذين فى المجمع حين سمعوا كلامه .. فقاموا وأخرجوه خارج المدينة وجاءوا به إلى حافة الجبل الذى كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه إلى أسفل .. أما هو فجاز فى وسطهم

ومضى (لو ٤ : ٢٨ – ٣٠) أنظر أيضاً موقفاً آخر مشابه فى (يو ٨ : ٥٩).

إن الملاكين فى بيت لوط عندما رأيا تجمهر الشعب حول الباب مريدين إخراجهما بالقوة، وإذ لم تنفع توسلات لوط مع الشعب بنى بليعال « مدّ الرجلان (الملاكان) أيديهما وأدخلا لوط إليهما إلى البيت وأغلقا الباب وأما الرجال الذين على الباب فضربا بالعمى من الصغير إلى الكبير فعجزوا عن أن يجدوا الباب » (تك ١٩ : ١٠، ١١).

وأليشع النبى عندما أحاط به جيش ملك موآب بقصد القبض عليه « صلى أليشع إلى الرب وقال اضرب هؤلاء الأمم بالعمى، فضربهم بالعمى كقول أليشع » (٢ملوك ٦ : ١٨).

أما الرب يسوع — رب الملاكين ورب أليشع — فلم يضر

الذين أرادوا طرحه من على الجبل أو الذين إرادوا رجمه بالحجارة .. بل اكتفى بأن « أجتاز فى وسطهم ومضى ».

ولما رأى الرب ازدياد حنق اليهود عليه من جراء تعاليمه المقدسة ومعجزاته الباهرة والتفاف الناس حوله، وإذ لم تكن ساعته قد أتت ليسلم نفسه إليهم، ترك اليهودية وأخذ يتردد فى الجليل « لأنه لم يرد أن يتردد فى اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه » (يو ٧ : ١).

+ **طاعته لوالديه وخضوعه لهما :**

كان الرب يسوع فى صباه مثال الطاعة والخضوع لأمه العذراء القديسة مريم وليوسف النجار المتكفل بتربيته، فنراه عندما تخلف عنهما وجلس فى الهيكل وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم، ولما وجداه بعد البحث والسؤال نزل معهما إلى بيتهما المتواضع فى الناصرة « وكان خاضعاً لهما » (لو ٢ : ٥١).

وكما كان الرب يسوع خاضعاً لأمه كان خاضعاً أيضاً لأبيه السماوى حتى الصليب والموت ، وكان دائماً يتغنى ويتلذذ بطاعته لأبيه السماوى فيقول :

+ طعامى إن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله (يو ٤ : ٣٤) .

+ لأنى قد نزلت من السماء ، ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى (يو٦ : ٣٤)

+ لست أفعل شيئاً من نفسى بل اتكلم بهذا كما علمنى أبى ، والذى أرسلنى هو معى ، ولم يتركنى الآب وحدى لأنى فى كل حين أفعل ما يرضيه (يو ٨ : ٣٨ ، ٣٩) .

+ وإن قلت لست أعرفه أكون مثلكم كاذباً لكنى أعرفه وأحفظ قوله (يو ٨ : ٥٥) ،

+ ليفهم العالم أنى أحب الآب وكما أوصانى الآب هكذا أفعل (يو ١٤ : ٣١) .

+ وعندما عصره الألم إذ تكدست كل خطايا العالم على كتفيه صرخ فى بستان جثسيمانى « يا أبتاه إن شئت إن تجيز عنى هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك » (لو ٢٢ ، ٤٢) . وهكذا كان الرب يسوع يطيع إرادة أبيه السماوى حتى الصليب والموت « فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً . الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس . وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب . لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم . لكى تجثو باسم

يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض
ومن تحت الأرض . ويعترف كل لسان أن يسوع
المسيح هو رب لمجد الله الآب » (فى ٢ : ٥ — ١١) .

+ يسوع يعمل كصبى نجار مع يوسف :

ظل يسوع ٣٠ سنة تقريباً يشتغل كصبى نجار مع يوسف الشيخ .. قطعاً كان النجار العجوز يريد إن يسلمه المهنة فيأمره مرة وينهاه أخرى ، وإذ كان يوسف شيخاً هرماً ويسوع شاباً يافعاً ، فقطعاً كان يضع عليه أغلب ثقل العمل لينجزه ، وفى كل هذا كان يسوع يطيع الشيخ وينفذ أوامره ونواهيه فى اتضاع كامل ورضى عجيب حتى لقب بالنجار ابن مريم (مر ٦ : ٣) وبمزاولة يسوع لهذه المهنة البسيطة وضع ميثاق شرف للعمل حتى لا يخجل أحد من أى عمل أو مهنة حلال مهما كانت بسيطة أو محتقرة .

+ تواضع يسوع عند العماد :

يقول لوقا الانجيلى « ولما أعتمد جميع الشعب أعتمد يسوع أيضاً » ٣ : ٢١ . وقف فى الصفوف الخلفية منتظراً دوره كأحقر إنسان . لم يزاحم غيره ولم يفضل نفسه على أحد ، ولما أعتمد الجميع أعتمد هو أيضاً أخيراً وكأن لسان حاله يقول « أما أنا فدودة لا إنسان عار عند البشر ومحتقر الشعب » (مز ٢٢ : ٦) . ولما عرفه يوحنا أنه حمل الله الذى يرفع خطية العالم كله منعه قائلا : أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلىّ . أجاب يسوع بأسلوب كله أدب وتواضع وقال « اسمح الآن . لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر . حينئذ سمح له » (مت ٣ : ١٤ ، ١٥) .

ما أعظم تواضعك يارب الكل . حقا ستظل تقول « تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم » ولن يصل إنسان بشرى إلى كمال تواضعك مهما

عمل ومهما جاهد . علمنى يارب .. وأعطنى ولو قليلاً من نعمة التواضع العظيم ، على قدر ما تحتمل بشريتى الضعيفة .

✝ **الرب يسوع يتواضع مع :**

١ – المرأة السامرية :

رغم أنه ظهر من كلام المرأة أنها تعيش مع رجل فى زواج غير شرعى إلا أن يسوع فى تواضعه أخذ يتصيد بعض الحسنات لتلك المرأة وينظر إلى بعض الجوانب المنيرة فى شخصيتها ، فعندما صدقت فى كلامها معه ولم تكذب ولم تحاول إخفاء الحقيقة قائلة « ليس لى زوج » أخذ يسوع يمدحها « حسنا قلت ليس لى زوج ... هذا قلت بالصدق » (يو ٤ : ١٧ ، ١٨) .

وفى الحقيقة أن كل المقابلة مع تلك المرأة السامرية كانت نوعاً من تواضع رب المجد يسوع ، فهو رجل يهودى وهى

امرأة سامرية محتقرة فى نظر اليهود حتى أن المرأة نفسها اندهشت من تواضعه وقالت « كيف تطلب منى لتشرب وأنت رجل يهودى وأنا امرأة سامرية لأن اليهود لا يعاملون السامريين » (يو ٤ : ٩) . والتلاميذ أيضاً اندهشوا حين رجعوا ووجدوه يتكلم مع امرأة .

بهذا التواضع العجيب من رب الكل الذى سار ست ساعات من أجل خلاص تلك المسكينة ، ربح نفسها ونفوس كثيرين من تلك المدينة ، وكانوا يقولون للمرأة « إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم » (يو ٤ : ٤٢) .

٢ – ونثنائيل :

« فيلبس وجد نثنائيل وقال له وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والانبياء ، يسوع ابن يوسف الذى من

الناصرة » (يو ١ : ٤٥) أما نثنائيل فنى تعصبه الأعمى قال : أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح ؟ (يو ١ : ٤٦) وأسفرت المقابلة عن مجيء نثنائيل مع فيلبس إلى يسوع . «ورأى يسوع نثنائيل مقبلا إليه فقال عنه هوذا إسرائيلى حقاً لا غش فيه » (يو ١:٤٧) أمر عجيب ! نثنائيل المتعصب يطعن فى يسوع من الخلف ويحقره ، ويسوع فى تواضعه يمدح نثنائيل ولو عن شيء ليس له فيه إرادة أو جهاد ، مجرد أنه إسرائيلى ، وأتى هذا التواضع من جانب الرب بثمار سريعة ، فقد أزال التعصب من نثنائيل ، وانتزع من بين شفيته اعترافا لاهوتيا خطيراً وإيماناً راسخاً « يا معلم أنت ابن الله .. أنت ملك إسرائيل » (يو ١ : ٤٩) . وانضم نثنائيل إلى تلاميذ الرب وأصبح من جملة الأثنى عشر رسولاً وسُمى برتلماوس .

حقاً إن الكلام اللين المتواضع يصرف الغضب ، ويزيل التعصب ، ويحول الأعداء والمنتقدين إلى أصدقاء ومحبين .

٣ – الفريسى :

دعا أحد الفريسيين يسوع ليأكل معه . . وبينما هو متكىء فى بيت الفريسى « جاءت امرأة بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من ورائه وبدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب (لو ٧ : ٣٧ — ٣٩) ولما رأى الفريسى المتكبر ذلك المنظر أدان الرب يسوع فى قلبه ، وجرده ليس من الألوهية فقط ، بل من مجرد النبوة « لو كان هذا نبياً لعلم مَن هذه المرأة التى تلمسه وما هى أنها خاطئة » (لو ٧ : ٣٩) . أما يسوع الوديع فأراد أن يُخرج من الآكل أكلا ومن الجافى حلاوة ، من الفريسى المتغطرس حكماً صائبا ، ولو فى أمر بسيط حتى يجد ما يمدحه عليه «أجاب يسوع وقال له ياسمعان عندى شيء أقوله لك . فقال قل يا معلم. قال كان لمداين مديونان على الواحد خمسمائة دينار وعلى الآخر خمسون وإذ لم يكن لهما ما يوفيان سامحهما جميعاً . فقل أيهما

يكون أكثر حباً له . . فأجاب سمعان وقال أظن أن الذى سامحه بالأكثر » (لو ٧ : ٤٠ — ٤٣) وهنا مدحه السيد واستصوب جوابه . . فقال له بالصـــواب حكمت » (لو ٧ : ٤٣) .

ما أعجب تواضعك يارب . الفريسى يدينك ويتقول عليك فى قلبه وأنت تمدحه ، إنها محبة محتملة ومتسامحة وعطوفة على ضعفات الآخرين . . علمنى يارب هذه المحبة وهذا التواضع حتى أنظر إلى الناس بمنظار أبيض لكى لا أرى إلا الجوانب المنيرة فيهم وأقول مع بطرس الرسول « وأما أنا فقد أرانى الله أن لا أقول عن إنسان ما إنه دنس أو نجس» (أع ١٠ : ٢٨) .

يسوع المتواضع يتقبل الانتهار والتعنيف من الناس دون ان يغضب او يسخط او ينتقم . .

+ عندما قال يسوع لتلاميذه « ينبغى أن يذهب إلى

أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفى اليوم الثالث يقوم » (مت ١٦ : ٢١) اندفع بطرس فى غيرة متسرعة ليست حسب المعرفة ، وابتدأ ينتهر يسوع « فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلا حاشاك يارب» (مت١٦ : ٢٣) لكن يسوع المتواضع أخذ يصلح مفاهيم بطرس الخاطئة ويعرفه أن محبته هذه ليست حسب المعرفة وإنما هى عثرة فى سبيل إتمام الخلاص والفداء الذى جاء يسوع لأجله

+ والتلاميذ عندما هبت الريح على سفينتهم حتى صارت تمتلىء وأوشكت على الغرق ، كان يسوع فى المؤخرة على وسادة نائماً « فأيقظوه وقالوا له يا معلم أما يهمك أننا نهلك » (مر ٤ : ٣٨) . . وسكت يسوع

على التعنيف « فقام وانتهر الريح وقال للبحر اسكت ابكم . فسكنت الريح وصار هـدوء عظيم » (مر ٤ : ٣٩) .

+ مرثا أخت لعازر ، إذ كانت مرتبكة فى خدمة كثيرة ورأت أختها مريم جالسة عند قدمى يسوع تسمع كلامه ، فقدت أعصابها ووجهت اللوم للسيد معنفة «يارب أما تبالى أن أختى تركتنى أخدم وحدى» ثم تأمره أن يقول لأختها أن تترك خلوتها معه وتقوم لتعينها (لو ١٠ : ٤٠) أما يسوع الوديع الذى لا يغضب إلى الأبد ولا يحقد إلى الدهر ، فأخذ فى هدوء يصلح مفاهيم مرثا ويذكرها بعدم ضرورة الانشغال بأعمال كثيرة لأن الحاجة إلى واحد ، وأن مريم قد اختارت النصيب الصالح الذى لن ينزع منها .

+ **الحواريون :**

سُمى التلاميذ « حواريون » لأنهم كانوا يحاورون السيد المسيح ويناقشونه ، يسألونه فى الأمور التى تغمض عليهم دون تكلف أو تهيب . . ونستنتج من هذا أن يسوع لم يستغل مركزه كرئيس ومعلم لجماعة التلاميذ أن يفرض عليهم آراءه وتعاليمه وشخصيته فرضاً ، بل كان يستعمل معهم طرق الحوار والإقناع الديمقراطية الحرة دون تعسف أو كبت ، كما يفعل بعض الناس ، محبو التسلط مع مرؤوسيهم أو أولادهم أو خدمهم .

تواضعه فى عظاته وامثاله :

لم يستعمل يسوع نظريات فلسفية أو كلمات لولبية فى عظاته كما يفعل بعض الفلاسفة أو المتفلسفون ، بل نزل إلى مستوى سامعيه . كان يكلمهم فى أغلب عظاته بأمثال بسيطة مألوفة من

بيئتهم ، فيكلمهم عن الزوان الذى ينمو بين الحنطة ، وعن الزارع الذى خرج ليزرع ، وعن الرجل الذى يضع يده على المحراث ، وعن الكنز المخفى فى الحقل ، وعن الشبكة المطروحة فى البحر ، وعن الفعلة فى الكرم ، وعن شجرة التين غير المثمرة ، وعن الخروف الضال ، وعن الدرهم المفقود . وهكذا « هذا كله كلّم به يسوع الجموع بأمثال وبدون مثل لم يكن يكلمهم . لكى يتم ما قيل بالنبى القائل سأفتح بأمثال فمى وانطق بمكتومات منذ تأسيس العالم » (مت ١٣ : ٣٤ ، ٣٥) .

وقد استهوى هذا الأسلوب البسيط قلوب سامعيه وملك مشاعرهم حتى كانوا يأتون إليه من كل مكان ، وكانوا يندهشون من تعليمه « لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة » (مت ٧ : ٢٩)

تواضع يسوع فى معجزاته :

كان الرب يسوع متواضعاً حتى فى معجزاته العظيمة ، لم يستخدم قوته العظيمة فى صنع المعجزات إلا فى الضرورة القصوى ، لا ليبهر الناس بمعجزاته ، وعندما كانوا يطلبون منه أن يصنع آية ليست لضرورة حتمية كان يرفض ويوبخهم قائلا « جيل فاسق وشرير يطلب آية ولا تعطى له إلا آية يونان النبى » (مت ١٢ : ٣٩) .

ويقول قداسة البابا شنودة الثالث فى كتابه « تأملات فى الميلاد . لم يبهر الناس بالمعجزات مثل ما فعل سيمون الساحر ، ومثل ما فعلت عرافة فيلبى ، ومثل ما سيحدث فى الأزمنة الأخيرة من المسيح الدجال والوحش والتنين » .

رفض أن يلقى نفسه من على جناح الهيكل لتحمله الملائكة ويرى الناس المنظر فيندهلون ويؤمنون معجبين بعظمته . رفض ذلك لأنه أخلى ذاته من إعجاب الناس . إن معلمنا الصالح لم

يحط نفسه بالمجد لأنه أراد أن يلتف الناس حول التواضع وليس حول المجد .

ومعجزة كحادثة التجلى كان يمكن أن تبهر الجماهير ، لم يشأ أن يراها كل الشعب ولا حتى كل تلاميذه الاثنى عشر ، بل رآها ثلاثة منهم فقط وأوصاهم أن لا يظهروها . .

بل أكثر من هذا أنه بعد كل معجزة تبهر البصر كان يخفى تلك المعجزة بعمل من أعمال الضعف البشرى ، أو بكلام عن آلامه أو يطلب ممن حدثت معه أن يخفيها . . كان يطلب الإيمان قبل المعجزة ، وليس كنتيجة لها ، وكثيراً ما كان يسأل الذى يجرى معه المعجزة أتؤمن ؟ أو يقول له « ليكن لك حسب إيمانك » .

وكثير من معجزات السيد المسيح كانت أعمال رحمة وحب وكان لها أهداف روحية . . هكذا نرى فى معجزة إقامة لعازر أنه بكى قبل أن يقيمه ، إن الحب الذى كان يعتصر قلبه

ظهر أولا فى عينيه الدامعتين قبل أن تظهر قوته فى عبارة « هلم خارجاً » وكثير من معجزات الشفاء كانت تسبقها عبارة «فتحنن» أو « أشفق » وما شابه ذلك .

ومن تواضع الرب أنه كان بعد أتمام المعجزة يقول لمن حدثت معه « إيمانك قد شفاك » أو « إيمانك قد خلصك » أى أننى لم أعمل لك أنا شيئا بل إيمانك القوى هو السبب فى شفائك ! . . ما أعظمه من إنكار ذات . ليتنا نتعلمه منه . . وكل ماعملناه من أعمال فاضلة وخدمات ننسبه لنعمة الله العاملة فينا أن نريد وأن نعمل من أجل المسرة ، متذكرين كلمات الرب يسوع أنه قال « متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا (لو ١٧ : ١٠) . أو أن نشرك آخرين معنا فى الخدمة أو العمل الصالح ثم ننسب كل العمل وما نتج عنه من خير إلى شركائنا فى الخدمة ونختفى نحن نهائيا هاربين من المجد الباطل كما نهرب من حية سامة مميتة .

+ **يسوع يغسل أرجل تلاميذه :**

ما أروع تلك الكلمات التى أستهل بها يوحنا الإنجيلى حادثة غسل الأرجل « قال : أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب إذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم . أحبهم إلى المنتهى » (يو ١٣ : ١) « يسوع وهو عالم إن الآب قد دفع كل شىء إلى يديه وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضى قام عند العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة وإتزر بها ثم صب ماء فى مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التى كان متزرا بها (يو ١٣ : ٤ ، ٥) .

هكذا كان يفعل العبيد فى موائد أربابهم ، فكما عمل الله قديما بواباً لنوح ، وبعد أن دخل نوح وبنوه وكل ما معه من الحيوانات والطيور إلى الفلك « أغلق الرب عليه (بنفسه) » « تك ٧ : ١٦ » عمل عبداً وخادماً للتلاميذ فانحنى وغسل أرجلهم جميعاً ، تلك الأرجل التى كانت ملطخة بتراب الطريق ووحل الشوارع غسلها يسوع ونظفها بعناية ثم نشفها أيضاً . . ولسان

حاله يقول « إن ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (مر ١٠ : ٤٥) .

ليت هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع يكون فينا ، فنخدم الآخرين فى حب وإنكار ذات ، نخدمهم خدمة العبد للسيد فى تواضع وانكسار ، لا خدمة السيد للعبد فى أبهة وافتخار .

يقول بعض المفسرين إنه بدأ غسل الأرجل بيهوذا الاسخريوطى ، التلميذ الخائن ، حتى يعطيه فرصة الرجوع إلى نفسه ، ونبذ تلك الفكرة الشيطانية المتسلطة عليه لتسليم سيده . أراد الرب أن يغلب شر يهوذا بصنع الخير معه كما يقول الرسول « **لا يغلبنك الشر** بل إغلب الشر بالخير .. إن جاع عدوك فأطعمه وأن عطش فأسقه لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه » (رو ١٢ : ٢٠ ، ٢١) .

+ **تواضع الرب يسوع فى حوادث الصلب :**

سمح لهم أن يقبضوا عليه ويجروه فى شوارع أورشليم كمجرم ويوقفوه أمام عدة محاكمات غير عادلة . ومع كل هذا

سكت « ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه ، كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه » (أش ٥٣ : ٧) مع أنه كان قادراً أن يدافع عن تعاليمه ويبرىء نفسه ، أو أن يطلب إلى أبيه فيقدم له أكثر من اثنى عشر جيشاً من الملائكة (مت ٢٦:٥٣) يدافعون عنه ويخلصونه من أيديهم .

والموقف المؤثر للغاية ، أن رئيس الكهنة أثناء المحاكمة يسأل ، ويسوع يجيب « لطم واحد من الخدام يسوع لطمة مرة قائلا أهكذا تجاوب رئيس الكهنة (يو ١٨ : ٣٢) أما يسوع ففى وداعته المعهودة جاوبه « إن كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردى وإن حسناً فلماذا تضربنى » (يو ١٨ : ٣٣) . . وهذا الجواب المتضع من يسوع يشبه ما حدث يوماً حين تناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه . أجابهم يسوع أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى . بسبب أى عمل منها ترجموننى » (يو ١٠ : ٣١ ، ٣٢) .

ولكن يظهر التواضع الإلهى العجيب الذى التحف به الرب يسوع كثوب ، والذى لا يستطيع أن يدانيه فيه أحد من خلائقه ، تعال نتأمل فى موقف مشابه حدث من الرسول العظيم بولس معلم المسكونة ، مع العلم بأننا لا نورد هذا الموقف تحقيراً للرسول العظيم ، وإنما اظهاراً لعظمة تواضع رب المجد الذى فاق فى تواضعه السمائيين والأرضيين على السواء . . يقول سفر الأعمال : وفى الغد إذ كان (الأمير) يريد أن يعلم اليقين لماذا يشتكى اليهود عليه (على بولس) حله من الرباط وأمر أن يحضر رؤساء الكهنة وكل مجمعهم فأحدر بولس وأقامه لديهم (أع ٢٢ : ٣٠) وهكذا أخذ بولس يحتج أمام المجمع « فأمر حنانيا رئيس الكهنة الواقفين عنده أن يضربوه على فمه . حينئذ قال له بولس سيضربك الله ايها الحائط المبيض أفأنت جالس تحكم علىّ حسب الناموس وأنت تأمر بضربى مخالفاً للناموس (اع ٢٣ : ٢ — ٤) بولس يحتد على رئيس الكهنة حينما أهانه ، أما يسوع — رب بولس — فلم يحتد على عبد رئيس الكهنة حين لطمه مرة على وجهه المبارك . .

علمنى يارب هذا التواضع وهذا التسامح المثالى .

وقد توالت على يسوع الاهانات من لطم وجلد وبصق واكليل الشوك والتعييرات المرة ، أخيراً علقوه على الصليب كمجرم ، وتعليقه على الصليب وسط لصين كان امعانا فى تحقيره كأنه رئيس لعصابة لصوص أو قطاع الطرق ! ! أما يسوع فقد اختار ميتة الصلب دون غيرها لعدة أسباب هامة منها :

١ — جاء رب المجد ليحمل عنا اللعنة الموضوعة علينا فكيف كان ممكنا أن يصير لعنة (غل ٣ : ١٣) مالم يمت موت اللعنة الذى هو موت الصليب ، لأنه مكتوب « ملعون كل من علق على خشبة » (تث ٢١ : ٢٣) .

٢ — لاق بالرب أن يحتمل هذا الموت ويبسط يديه على الصليب ، حتى باليد الواحدة يجتذب الشعب القديم (اليهودى) إلى الإيمان به وبالأخرى يجتذب الأمم ، ويتحد الاثنان فى شخصه المبارك وقد قال بنفسه مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن

يفدى بها البشرية « وأنا إن ارتفعت اجذب إلىّ الجميع »

٣ — إذ رفع الرب هكذا على الصليب طهر الهواء من شر الشيطان (رئيس سلطان الهواء) أف ٢ : ٢ « ومن شر الأرواح النجسة بكل أنواعها ، وفتح الطريق جديداً للصعود إلى السماء ، وبأى موت كان ممكنا أن يتم هذا إلا بالموت الذى فى الهواء أى على الصليب .

٤ — مات الرب على الصليب حتى يبقى جسده سليماً غير مجزأ عما لو كان قدمات بقطع الرأس بالسيف أو النشر بمنشار ، وعلى الصليب مات بسرعة حتى لا يعطيهم فرصة لكسر ساقيه للتعجيل بموته بسبب دخول الفصح ، وهذا « ليتم الكتاب القائل عظيم لا يكسر منه » (يو ١٩ : ٣٦) وكل هذا التخطيط الإلهى كان حتى لا يعطى حجة للذين يريدون تجزئة الكنيسة « جسد المسيح » وانقسامها وانشقاقها .

وعلى الصليب ظهر تواضع الرب جلياً حينما صلى لأجل

صالبية « يا أبتاه إغفر لهم لأنهم لا يعملون ماذا يفعلون » .

وللشيخ الروحانى تأملات مفيدة ومؤثرة فى حوادث الصلب نورد بعضها : قال «أقف معك فى بيت رئيس الكهنة أتلقى منك الشتيمة والعار لأنى أنا السبب ، وخطاياى وزلاتى هى التى أوقفتك كأنك مدان وأنت ديان كل الناس .. أخرج معك إلى الرومان حيث أهانوك وضربوك لأتلقى عنك ولو البصاق النازل على وجهك البهى الطاهر الجليل ، لأن وجهى هو المستحق لهذا البصاق بالحق وليس وجهك أنت يارب السماء والأرض .. أحنى ظهرى للسياط لأتلقى ولو قليلا من ضربات السياط المرة الأليمة ، لأنه ما ذنبك أنت يارب ؟ إنى أنعجب وأندهش كيف وقفت الملائكة حائرة من رحمتك ، وهى تنتظر الإشارة لحرق المسكونة كلها لو أردت ، وأنت قط لم ترد بل سكبت رحمتك على صالبيك[1] » .

(١) كتاب (السبع طلبات) لمشاهير قديسى الكنيسة طبع دير السريان ص ١٦٦ ، ١٦٧

+ **تواضع الرب يسوع فى قيامته :**

كما كان رب المجد متواضعا فى ميلاده ، إذ ولد فى حظيرة للبهائم واضطجع على قليل من قش فى مذود من طين ، ولم يعلم بخبر ولادته إلا بعض الرعاة الفقراء ، سكان البادية الساهرين على رعيتهم ، هكذا كان أيضاً متواضعاً فى قيامته من الأموات.

إذا انتصر ملك على عدوه فى الحرب ، وأراد أن يرجع إلى بلده ظافراً ، تقام له الزينات وأقواس النصر ، ويدخل فى أبهة وعظمة الملوك ، وخلفه الأسرى مقيدين منكسى الرؤوس.. وبالجملة يحصل دوى هائل لذلك الانتصار . أما يسوع وقد قام من الأموات منتصراً على الموت ، آخر عدو ، وأقوى عدو للبشرية جمعاء ، منتصراً على الشيطان عدو كل خير ومخلصاً من قبضته جميع أسرى الرجاء ، فعل كل ذلك فى تواضع عجيب ، ففى فجر الأحد قام الرب فى هدوء تام ، خرج من القبر بطريقة معجزية بحيث ترك الحجر موضوعاً على باب القبر والأختام

سليمة ، تماماً كما خرج عند ميلاده من بطن العذراء مريم وبقيت بتوليتها مختومة .. لم تحدث عند قيامته زلزلة ولا أنوار بل تم كل شيء فى هدوء . أما ما حدث من دحرجة الحجر وأنوار باهرة وزلزلة عظيمة فقد حدث عند نزول الملاك إلى القبر بعد قيامة السيد وخروجه منه « وإذا زلزلة عظيمة قد حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه .. وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات » (مت ٢٨ : ٢ ـ ٤)

وقد قام يسوع فى اليوم الثالث من صلبه لعدة أسباب منها:

١ — لم تتم القيامة قبل ذلك لئلا يشك فى أنه مات حقيقة لو أعلن القيامة فى اليوم الأول مثلا، ولو قام بعد الموت بساعات لكثرت الشكوك حول تأكيد الموت والقيامة .

٢ — لم تتم القيامة بعد ذلك بمدة طويلة لأسباب :

ا — لكى يحتفظ بسلامة جسده ولئلا يظن بأنه استبدله

بجسد آخر . ب — لكى لا يقلق نفوس تلاميذه ويعلقها بالانتظار الطويل لأنه سبق فأخبرهم بأمر القيامة .

ج — لكى لا ينتظر حتى يتشتت أولئك الذين شهدوا موته أو تتلاشى من الذاكرة حقيقة موته .

٣ — لو قام فى اليوم الثانى لما ظهر مجد عدم فساده .

+ **تواضعه فى ظهوراته بعد القيامة**

بعد قيامة الرب يسوع بالجسد الممجد النورانى ظل فى تواضعه أيضاً ، فظهر لمريم المجدلية فى زى بستانى فقير « فظنت تلك أنه البستانى فقالت له ياسيد إن كنت أنت قد حملته فقل لى أين وضعته وأنا آخذه » (يو ٢٠ : ١٥) .

ولم تعرفه إلا عندما ناداها باسمها « يامريم » فالتفتت تلك وقالت له ربونى الذى تفسيره يا معلم (يو ٢٠ : ١٦) .

+ ظهر لتلميذى عمواس فى شكل رجل غريب مسافر قطع معهما الطريق واستضافاه فى المكان الذى نزلا فيه ، ولم يعرفاه إلا عند كسر الخبز (لو ٢٤ : ١٣ ـ ٣٥).

+ وقد ظهر للقديس العظيم الأنبا بيشوى على هيئة عجوز قد وهن عظمه ويحتاج إلى من يحمله ويعينه وتقول القصة « عندما شيدت كنيسة القديس مكاريوس وحدد شيوخ البرية يوماً معيناً لتدشينها هرع إليها الرهبان من مختلف أنحاء الوادى وبينما كان الأنبا بيشوى فى طريقه إليها رأى شيخاً قد وهن عظمه وهو يسير بمقربة منه بخطوات بطيئة ، فاقترب منه البار وسأله عن طريقه . فقال إنه يريد الذهاب إلى كنيسة القديس مكاريوس ليشهد تكريسها وينال بركة الآباء الذين تقاطروا عليها . فلما رأى بيشوى أن الأعياء يبدو على الشيخ واضحاً عرض عليه أن يحمله إلى حيث يريد فامتنع أولاً ثم عاد وقبل منه ذلك ، فوضعه القديس على كتفيه وأخذ يقطع به وهاد الاسقيط وكأنه لايحمل شيئاً.. إلا أن الراهب العجوز عاد يثقل شيئاً فشيئاً حتى توقف حامله عن المسير ، وعندئذ أدرك بيشوى أن هذا الشيخ ماهو إلا العتيق

الأيام الكائن قبل كل الدهور ، فتطلع إليه وهو يقول : السماء لاتسعك والأرض من ترتج من جلالك فكيف يحملك خاطىء مثلى ؟ ! وعندئذ ابتسم الرب فى وجهه ومنحه السلام لروحه والبركة لجسده ثم تركه وإنصرف[1] » .

ومما لاشك فيه أن هذه الظهورات هى على سبيل المثال لا على سبيل الحصر .

تواضعه فى صعوده

على الرغم من عظمة حادثة صعود الرب إلى السماء وجلوسه عن يمين أبيه فى الأعالى فقد أغفلها اثنان من البشيرين ، بينما دونها اثنان ، وبكلمات قليلة ومختصرة .. فمثلا مرقس يقول « ثم إن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله » (مر ١٦ : ١٩) « وهكذا صعد الرب إلى السماء فى هدوء

(١) عن كتاب « القديسين أنبا بيشوى وأنبا بولا الطموهى » للشماس يوسف حبيب ص ٥٤ ، ٥٥

تام وفى تواضع عجيب بين عدد قليل من تلاميذه بعيداً عن المدن والعمران « وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم . وفيما هو يباركهم انفرد عنهم واصعد إلى السماء » .

رآك التلاميذ مرة يارب تصلى بحرارة عجيبة وروحانية فائقة واتحاد عجيب بأبيك السماوى ، فالتهبت قلوبهم وتحركت فيهم غيرة مقدسة لمحاكاتك والتشبه بك فى الصلاة ، وبمجرد أن فرغت من الصلاة طلبوا منك « يارب علمنا أن نصلى » (لو ١١ : ١) « وأنا اليوم يارب إذ أتأمل فى تلك المواقف المؤثرة من تواضعك الألهى العجيب تأخذنى غيرة ورغبة للتشبه بك واقتفاء إثر خطواتك ، فأسالك بلجاجة « يارب علمنى أن أتواضع » آمين .

مكتبة
دير السيدة العذراء
السريان

رقم الايداع بدار الكتب ٣٧٦٧ لسنة ١٩٧٢